

# قضية تحويل القبلة من تفسير السعدي | عبد الرحمن بن ناصر

## السعدي | مشروع كبار العلماء

عبدالرحمن السعدي

سيقول السفاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها آآ يقين قد اشتملت الآية الاولى على معجزة وتسليمة وتطمين قلوب المؤمنين واعتراض وجوابه من ثلاثة اووجه وصفة المعارض وصفة المسلم لحكم الله ودينه. فاخبر تعالى انه سيعرض السفهاء من الناس. وهم الذين لا يعرفون مصالح - 00:00:00

انفسهم بل يضيئونها ويبيعونها بابخس ثمن. وهم اليهود والنصارى ومن اشبههم من المعارضين على احكام الله وشرائعه. وذلك ان المسلمين كانوا مأمورين باستقبال بيت المقدس مدة مقامهم بمكة. ثم بعد الهجرة الى المدينة نحو سنة ونصف. لما لله تعالى في ذلك

- 00:00:40

من الحكم التي سيشير الى بعضها. وكانت حكمته تقتضي امرهم باستقبال الكعبة. فاخبرهم انه لابد ان يقول السفهاء من الناس ما عن قبلتهم التي كانوا عليها. وهي استقبال بيت المقدس. اي شيء صرفهم عنه. وفي ذلك الاعتراض على حكم الله وشرعه وفضله -

00:01:00

باحسانه. فسلاهم واحبر بوقوعه وانه انما يقع من اتصف بالسفه. قليل العقل والحمل والديانة فلا تبالوا بهم. اذ قد علم مصدر هذا الكلام فالعقل لا يبالي باعتراض السفيه. ولا يلقي له ذهنه. ودللت الآية على انه لا يعترض على احكام الله الا سفيه - 00:01:20

اهل معاند واما الرشيد المؤمن العاقل فيتلقى احكام ربه بالقبول والانقياد والتسليم. كما قال الله تعالى وما كان لمؤمن ان ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم - 00:01:40

انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا. وقد كان في قوله السفهاء ما يغنى عن رد قولهم وعدم المبالغة به. ولكنه تعالى مع هذا لم يترك هذه الشبهة حتى ازالها وكشفها. مما سيعرض - 00:02:00

بعض القلوب من الاعتراض. فقال تعالى قل لهم مجيئا لله المشرق والمغرب. يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. اي اذا كان المشرق والمغرب ملكا لله ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه. ومع هذا يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. ومنه هدايتك - 00:02:20

الى هذه القبلة التي هي من ملة ابيكم ابراهيم. فلاي شيء يعترض المعارض بتوليتكم قبلة داخلة تحت ملك الله. لم تستقبلوا جهة ملك الله فهذا يوجب التسليم لامرء بمجرد ذلك. فكيف وهو من فضل الله عليكم وهدايته واحسانه ان هداكم لذلك - 00:02:40

فالمعarry ع عليكم معارض على فضل الله حسدا لكم وبغيها. ولما كان قوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. والمطلق يحمل على المقيد فان الهدایة والضلال لهما اسباب اوجبتها حکمة الله وعدله. وقد اخبر في غير موضع من كتابه بأسباب الهدایة. التي -

00:03:00

اذا اتي بها العبد حصل له الهدی. كما قال تعالى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام. ذكر في هذه الآية السبب الموجب بدایة هذه الامة مطلقا بجميع انواع الهدایة ومنة الله عليها. فقال وكذلك جعلناكم امة - 00:03:20

ويكون وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا خيارا وما عدا الوسط فاطراف داخلة تحت فعل الله هذه الامة وسطا في كل امور الدين وسطا في الانبياء بين من غلا فيهم كالنصارى وبين من جفاهم كاليهود بان امنوا - 00:03:40

بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك ووسطا في الشريعة. لا تشديدات اليهود واصارهم ولا تهاون النصارى. وفي باب الطهارة والمطاعم لا

كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة الا في بيعهم وكتانسهم. ولا يطهرهم الماء من النجاسات. وقد حرمت عليهم طيبات عقوبة لهم -

00:04:10

ولكن نصارى الذين لا ينجسون شيئاً ولا يحرمون شيئاً. بل اباحوا ما دب ودرج. بل طهارتهم اكمل طهارة واتتها واباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح. وحرم عليهم الخبائث من ذلك. فلهذه الامة من الدين اكمله. ومن - 00:04:30

الاخلاق اجلها ومن الاعمال افضلها. ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والاحسان. ما لم يهبه لامة سواهم. فلذلك كانوا امة وسط كاملين ليكونوا شهداء على الناس بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط. يحكمون على الناس من سائر اهل الاديان. ولا يحكم - 00:04:50

وعليهم غيرهم. فمن شهدت له هذه الامة بالقبول فهو مقبول. وما شهدت له بالرد فهو مردود. فان قيل كيف يقبل حكمهم على الحال ان كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض. قيل انما لم يقبل قول احد المختصمين لوجود التهمة. فاما - 00:05:10

ما اذا انفت التهمة وحصلت العدالة التامة كما في هذه الامة. فانما المقصود الحكم بالعدل والحق. وشرط ذلك العلم والعدل. وهما موجودون السودان في هذه الامة فقبل قولها فان شك شاك في فضلها وطلب مزكيها لها فهو اكمل الخلق نبيهم صلى الله عليه وسلم -

00:05:30

فلهذا قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيداً. ومن شهادة هذه الامة على غيرهم انه اذا كان يوم القيمة. وسأل الله المرسلين عن تبليغهم والامم المكذبة عن ذلك. وانكروا ان الانبياء بلغتهم استشهدت الانبياء بهذه الامة. وزاكاهما نبيها - 00:05:50

وفي الاية دليل على ان اجماع هذه الامة حجة قاطعة. وانهم معصومون عن الخطأ لاطلاق قوله وسطاً. فلو قدر اتفاقهم على الخطأ لم يكونوا وسطاً الا في بعض الامور. ولقوله لتكونوا شهداء على الناس. يقتضي انهم اذا شهدوا على حكم ان الله احله او حرمته -

00:06:10

او اوجب فانها معصومة في ذلك. وفيها اشتراط العدالة في الحكم والشهادة والفتية ونحو ذلك. يقول تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول وان كانت لكبيرة - 00:06:30

الله! وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف وما جعلنا القبلة التي قمت عليها وهي استقبال بيت المقدس اولاً الا لنعلم اي علماً به الثواب والعقاب والا فهو تعالى عالم بكل الامور قبل وجودها. ولكن هذا العلم لا يعلق عليه ثواباً ولا عقاباً - 00:07:00

بتمام عده واقامة الحجة على عباده. بل اذا وجدت اعمالهم ترتب عليها الثواب والعقاب. اي شرعنا تلك القبلة لنعلم ونتحسن من يتبع الرسول ويؤمن به فيتبعه على كل حال. لانه عبد مأمور مدبر. ولانه قد اخبرت الكتب المتقدمة انه - 00:07:30

الкуبة فالمنصف الذي مقصوده الحق مما يزيده ذلك ايماناً وطاعة للرسول. واما من انقلب على عقبه واعرض عن الحق اتبع هواه فانه يزداد كفراً الى كفره. وحيرة الى حيرته ويدلي بالحجۃ الباطلة المبنية على شبهة لا حقيقة لها - 00:07:50

وان كانت اي صرفك عنها لكبيرة اي شاقة الا على الذين هدى الله. فاعرفوا بذلك نعمة الله عليهم وشكروا واقروا بالاحسان حيث وجههم الى هذا البيت العظيم. الذي فضل على سائر الارض وجعل قصده ركنا من اركان الاسلام. وهادماً للذنوب - 00:08:10

والاثام. فلهذا خف عليهم ذلك وشق على من سواهم. ثم قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما ينفي له ولا يليق به تعالى بل هي من الممتنعات عليه. فاخبر انه ممتنع عليه ومستحيل ان يضيع ايمانكم. وفي هذا بشارة عظيمة - 00:08:30

كل من من الله عليهم بالاسلام والايمان بان الله سيحفظ عليهم ايمانهم فلا يضيعه. وحفظه نوعان حفظ عن الضياع والبطidan لهم عن كل مفسد ومزيل له ومنقص. من المحن المقلقة والاهواء الصادرة. وحفظ له بتنميته لهم وتوسيعهم لما يزداد به - 00:08:50

ايمانهم ويتم به ايقانهم. فكما ابتدأكم بان هداكم للامام فسيحفظه لكم ويتم نعمته بتنميته وتنمية اجره وثوابه وحفظه من كل مذكر. بل اذا وجدت المحن التي المقصود منها تبيين المؤمن الصادق من الكاذب. فانها تمتص المؤمنين وتظهر - 00:09:10

وكان في هذا احترازاً عما يقال ان قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبه قد يكون سبباً لترك بعض المؤمنين ايمانهم فدفع هذا الوهم بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم بتقدير - 00:09:30

لهذه المحنـة او غيرها. ودخل في ذلك من مات من المؤمنين قبل تحويل الكعبة. فان الله لا يضيع ايمانهم. لكونه ممثلوا امر الله طاعة

رسوله في وقتها وطاعة الله امثال امره في كل وقت بحسب ذلك. وفي هذه الاية دليل لمذهب اهل السنة والجماعة ان - 00:09:50 ايمان تدخل فيه اعمال الجوارح. وقوله ان الله بالناس لرؤوف رحيم. اي شديد الرحمة بهم عظيمها. فمن رأفته ورحمته بهم ان يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها. وان ميز عنهم من دخل في الایمان بلسانه دون قلبه. وان امتحنهم امتحانا زاد به ايمانهم - 00:10:10 وارتفعت به درجتهم وان وجههم الى اشرف البيوت واجلها وان الذين اتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما 00:10:30 يعمل يقول الله لنبيه قد نرى تقلب وجهك في السماء. اي كثرة ترددك في جميع جهاته. شوقا وانتظارا لنزول - 00:11:10 للوحى باستقبال الكعبة وقال وجهك ولم يقل بصرك لزيادة اهتمامه. ولان تقليل الوجه مستلزم لتقليل البصر لنولينك اي نوجهك لولايتنا اياك. قبلة ترضها اي تحبها وهي الكعبة. وفي هذا بيان لفضله وشرفه صلى الله عليه - 00:11:30 وسلم حيث ان الله تعالى يسارع في رضاه ثم صرح له باستقبالها فقال فولي وجهك شطر المسجد الحرام والوجه ما اقبل من بدن الانسان وحيثما كنتم اي من بر وبحر شرق وغرب جنوب وشمال فولوا وجوهكم شطرة اي جهة - 00:11:30 وفيها اشتراط استقبال الكعبة للصلوات كلها. فرضها ونفلها. وانه ان امكن استقبال عينها. والا فيكتفي شطرها وجهتها ان الالتفات بالبدن مبطل للصلوة. لأن الامر بالشيء نهي عن ضده. ولما ذكر تعالى فيما تقدم المعتبرين على ذلك من اهل الكتاب وغيرهم - 00:11:50

ذكر جوابهم ذكر هنا ان اهل الكتاب والعلم منهم يعلمون انك في ذلك على حق وامر لما يجدونه في كتبهم فيعتبرون فاذا كانوا 00:12:10 يعلمون بخطأهم فلا تبالوا بذلك. فان الانسان انما يغمه اعتراض من اعتراض عليه. اذا كان الامر مشتبها - 00:12:30 وكان ممكنا ان يكون معه صواب. فاما اذا تيقن ان الصواب والحق مع المعتبر على وان المعتبر معاند. عارف ببطلان قوله فانه لا محل للمبالغة. بل ينتظر بالمعترض العقوبة الدنيوية والاخروية. فلهذا قال تعالى وما الله بغافل عما 00:12:30 ي عملون - 00:12:50 بل يحفظ عليهم اعمالهم ويجازيهم عليها وفيها وعيد للمعتبرين وتسلية للمؤمنين ولئن اتبعت من بعد ما جاءك من العلم انك اذا اذك اذا لمن الظالمين. كان النبي صلى الله عليه وسلم من كمال حرصه على هداية الخلق. ببذل - 00:12:50 لهم غاية ما يقدر عليه من النصيحة. ويتلطف بهدایتهم ويحزن اذا لم ينقادوا لامر الله. فكان من الكفار من تمرد عن امر الله واستكبر على رسول الله وترك الهدى عمدا وعدوانا. فمنهم اليهود والنصارى. اهل الكتاب الاول الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم عن 00:13:30 يقينه -

لا عن جهل. فلهذا اخبره الله تعالى انك لو اتيت الذين اتوا الكتاب بكل اية. اي بكل برهان ودليل يوضح قولك ويبين ما تدعوه اليه ما 00:13:50 تبعوا قبلتك. اي ما تبعوك. لان اتباع القبلة دليل على اتباعه. ولان السبب هو شأن القبلة. وانما - 00:14:10 كان الامر كذلك لانه معاندون. عرفوا الحق وتركوه. فالآيات انما تفيد وينتفع بها من يتطلب الحق وهو مشتبه عليه. فتوضح له ايات البينات. واما من جزم بعدم اتباع الحق فلا حيلة فيه. وايضا فان اختلافهم فيما بينهم حاصل. وبعضهم غير تابع قبلة بعض -

فليس بغرير منهم مع ذلك الا يتبعوا قبلتك يا محمد. وهم الاعداء حقيقة. الحسدة وقوله وما انت بتتابع قبلتك ابلغ من قوله ولا تتبع 00:14:30 لان ذلك يتضمن انه صلى الله عليه وسلم اتصف بمخالفتهم فلا يمكن وقوع ذلك منه - 00:14:50 ولم يقل ولو اتوا بكل اية لانهم لا دليل لهم على قولهم. وكذلك اذا تبين الحق بادلته اليقينية لم يلزم الاتيان باجوبة الشبه الواردة عليه لانه لا حد لها. ولانه يعلم بطلانها. للعلم بان كل ما نافي الحق الواضح فهو باطل. فيكون - 00:15:10 محل الشبه من باب التبرع. ولئن اتبعت اهواءهم انما قال اهواءهم. ولم يقل دينهم. لان ما هم عليه مجرد تهوية نفس حتى هم في قلوبهم يعلمون انه ليس بدين. ومن ترك الدين اتبع الهوى ولا محالة. قال تعالى افرأيت من - 00:15:30 اتخذ الله هواه. من بعد ما جاءك من العلم بانك على الحق وهم على الباطل. انك اذا اي ان اتبعتهم فهذا احتراز لالا تنفصل هذه الجملة عمما قبلها ولو في الافهام لمن الظالمين. اي داخل فيهم ومندرج في جملتهم. واي ظلم اعظم من - 00:15:30 من علم الحق والباطل فائز الباطل على الحق. وهذا وان كان الخطاب له صلى الله عليه وسلم فان امته داخلة في ذلك. وايضا فاذا

كان هو صلى الله عليه وسلم لو فعل ذلك وحاشاه صار ظالماً مع علو مراتبته وكثرة حسناته. فغيره من باب أولى - 00:15:50

00:16:10 -